

جماعات الضغط

على عكس الأحزاب السياسية التي تسعى إلى الاستيلاء على السلطة الحكومية، تسعى "جماعات الضغط" Lobbies إلى التأثير على من يملكون هذه السلطة لتوجيه القرارات العامة لصالح مصالح قطاعية أو خاصة. وهي تُشكّل عنصراً محورياً، وغالباً ما تكون مثيرة للجدل، في الأنظمة السياسية التعددية.

ظهر مصطلح "جماعة الضغط" لأول مرة في المصطلحات العلمية في مقدمة أطروحة الدكتوراه لبيتر أوديجارد حول رابطة مكافحة الكحول في الولايات المتحدة: "سياسة الضغط: قصة رابطة مكافحة الحانات" Pressure politics : the story of the anti-saloon league، ونُشرت هذه الأطروحة عام 1928. ويبدو أن هذا المصطلح قد صاغه صحفي سياسي أمريكي بين عامي 1918 و 1928.

الفرع الأول: التعريف والأسس النظرية: يمكن تعريف جماعات الضغط من خلال الإشارة إلى ما يأتي:

أ. التعريف الكلاسيكي: المصالح والعمل الجماعي:

1/- يقدم عالم السياسة الأمريكي ديفيد ب. ترومان David B. Truman تعريفاً أساسياً: "جماعة الضغط هي أي جماعة، بناءً على موقف أو أكثر مشترك، تُطالب جماعات أخرى في المجتمع بمطالب معينة لإنشاء أو الحفاظ على أو تعزيز أنماط سلوكية تُشير إليها تلك المواقف المشتركة."

2/- يقدم عالم السياسة الفرنسي جان مينو Jean Meynaud تعريفاً أكثر عملية: "يُعرّف مصطلح 'جماعة الضغط' بأنه جميع الأفراد الذين، متحدين بمجموعة مشتركة من الاحتياجات أو التطلعات، ينظمون أنفسهم لممارسة ضغط مستمر على السلطات العامة لتحقيق مصالحهم."

ب. مشكلة العمل الجماعي: نقد أولسون Olson: يتحدى مانكور أولسون Mancur Olson فكرة أن مجرد وجود مصلحة مشتركة يكفي لتوليد عمل جماعي. يقول: "ما لم يكن عدد الأفراد ضئيلاً للغاية، أو كان هناك قيد أو آلية خاصة أخرى تحثهم على ذلك، فإن الأفراد العقلانيين المهتمين برفاهيتهم لن يتحدوا للعمل من أجل مصلتهم المشتركة أو مصلحة مجموعتهم." ويقدم مفهوم "الحافز الانتقائي Incitation Sélective" (المادي أو الرمزي) لتفسير الانتماء/الانخراط إلى مجموعة.

الفرع الثاني: تصنيفات جماعات الضغط وأساليب عملها:

1/- التمييز الأول: جماعات "القضية" وجماعات "المنصرة/الدفاع" Groupes « De Cause » Et Groupes « De Défense »

- **جماعات الترويج/الترقية (أو "جماعات القضية" « de cause »):** تدافع عن مصلحة جماعية أو مثالية أو أخلاقية (مثل: غرينبيس، منظمة العفو الدولية). وهي تعمل على حشد وتعبئة الرأي العام.
- **جماعات المنصرة/الدفاع (أو "جماعات القطاع" « Sectionnels »):** تدافع عن المصالح الاقتصادية أو المهنية لأعضائها (مثل: نقابات أصحاب العمل، والجمعيات الطبية).

2/- نماذج التفاعل مع الدولة: التعددية مقابل الكوربوراتية:

- **النموذج التعددي (الأنجلو ساكسوني):** تتنافس فيه جماعات متعددة للتأثير على الدولة، التي تعمل كجهة أو حكم محايد. الوصول إلى النظام مفتوح وتنافسي. هذا النموذج هو الذي نظر له روبرت دال Robert Dahl.
- **النموذج الكوربوراتي (النيو-كوربوراتي):** تعترف الدولة ببعض الجماعات الكبيرة (النقابات، أصحاب العمل) وتمنحها احتكار التمثيل، ثم تدمجها في عمليات صنع القرار وتنفيذ السياسات العامة. "يمكن تعريف النيو-كوربوراتية بأنها نظام لتمثيل المصالح يتم فيه تنظيم الوحدات المكونة أو المُشكّلة في عدد محدود من الفئات، وهي إلزامية وغير تنافسية ومنظمة هرمياً ومتميزة وظيفياً."

3/- استراتيجيات الضغط السياسي:

- **الضغط السياسي "الداخلي" أو "الخفي" "Lobbying « Interne » Ou De Couloirs :** جهود سرية لإقناع صناع القرار (أعضاء البرلمان، كبار موظفي الخدمة المدنية) من خلال الخبرة، وصياغة التعديلات، وتحديد مواعيد الاجتماعات.
- **الضغط السياسي "الخارجي" "Lobbying Externe :** حشد الرأي العام (حملات إعلامية، عرائض) لخلق مناخ مؤيد.
- **الضغط السياسي "القانوني" "Lobbying juridique :** الاستخدام الاستراتيجي للقانون والتقاضي للتأثير على السياسات أو عرقلتها.

الفرع الثالث: دراسة حالة جماعات الضغط في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي

1/- النظام الأمريكي: جماعات ضغط مُمأسسة وشفافة: يحمي التعديل الأول للدستور الأمريكي (حرية تقديم الالتماسات 1er Amendement (liberté de pétition) أنشطة جماعات الضغط. وينص قانون الإفصاح عن أنشطة جماعات الضغط لعام 1995 (Lobbying Disclosure Act de 1995) على ضرورة تسجيل هذه الأنشطة والإفصاح عنها. وتنتشر هذه الظاهرة على نطاق واسع في واشنطن العاصمة، حيث يكثر انتقال الموظفين بين المكاتب الحكومية وشركات جماعات الضغط.

2/- الاتحاد الأوروبي: نظام معقد ومتعدد المستويات: أصبحت بروكسل ثاني أكبر مركز لجماعات الضغط في العالم بعد واشنطن. ويؤدي تنوع مؤسساتها (المفوضية، البرلمان، المجلس) إلى زيادة نقاط الدخول. ويهدف سجل الشفافية (2008، النسخة المعدلة) إلى تنظيم هذه الأنشطة. "تنسم الحوكمة الأوروبية بدرجة عالية من النفاذية لجماعات المصالح، وذلك بسبب ضعف الأحزاب السياسية العابرة للقومية والحاجة إلى الخبرة الفنية من المفوضية."

الفرع الرابع: انتقادات وتجاوزات وتحديات التنظيم:

- 1/- مخاطر هيمنة جهات تنظيمية وعدم المساواة Les risques de capture et d'inégalité :** يتمثل الاتهام الرئيسي في "هيمنة جهات تنظيمية"، حيث تُهمّش المصلحة العامة لصالح مصالح خاصة منظمة. وتحدث سوزان بيرغر Susan Berger عن "تحيز الأعمال"، المتأصل في الديمقراطية الرأسمالية.

2/- رهان الشفافية: إبراز النفوذ: يُركّز النقاش على ضرورة إتاحة المعلومات المتعلقة بالاتصالات والتمويل والدعم للجمهور. ويضع الفيلسوف بيير روزنفالون Pierre Rosanvallon هذا الأمر ضمن سياق ديمقراطي أوسع: "مجتمع انعدام الثقة La société de la défiance يستدعي ديمقراطية الشفافية. إن إبراز النفوذ شرط أساسي لشرعية القرارات."

3/- صعود "مراكز الفكر Think Tanks" والتأثير من خلال الأفكار: تمثل مراكز الفكر (مختبرات الأفكار) شكلاً متطوراً من أشكال التأثير، حيث تنتج الخبرات والأطر المعرفية لتوجيه النقاش العام بشكل استباقي.

عموماً، يمكن القول أن جماعات المصالح والضغط: مُكوّن متأرجح في الديمقراطيات المعاصرة. إذ تُعدّ جماعات المصالح مؤشراً على حرية تكوين الجمعيات، وفي الوقت نفسه تحدياً للمساواة السياسية. فوجودها متأصل في الأنظمة التعددية، لكن نفوذها يثير تساؤلاً مستمراً حول التوازن بين تمثيل المصالح المنظمة والدفاع عن المصلحة العامة. ورغم ضرورة التنظيم القائم على الشفافية، إلا أنه يصطدم بالخط الفاصل غير الواضح بين المعلومات المشروعة والتأثير غير المشروع. لذا، تبقى دراستها بالغة الأهمية لفهم كيفية ومكان وضع السياسات العامة.

دراسة حالة "اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة" (AIPAC)

الفرع الأول: مقدمة تاريخية وتأسيسية: AIPAC American Israel Public Affairs Committee هي واحدة من أكثر جماعات الضغط السياسي تأثيراً في واشنطن. تأسست عام 1951 على يد إسحاق (آيك) فاينستوك، وهو ناشط صهيوني من شيكاغو. نشأت كفرع من المجلس الصهيوني الأمريكي (American Zionist Council) كرد فعل على موقف إدارة ترومان المتحفظ تجاه إسرائيل في الخمسينيات.

بحسب وثائقها الرسمية، ترفع AIPAC شعار: **"العمل من أجل جعل العلاقات الأمريكية-الإسرائيلية أكثر قوة لضمان أمن إسرائيل"**. وهي تعمل على:

- تعزيز العلاقة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وإسرائيل.
- ضمان تدفق المساعدات العسكرية والاقتصادية الأمريكية لإسرائيل.
- مواجهة التهديدات الأمنية التي تواجه إسرائيل (خاصة من إيران وحلفائها).
- مكافحة حركة مقاطعة إسرائيل (BDS).

الفرع الثاني: البنية التنظيمية، الموارد، وآليات العمل واستراتيجيات الضغط:

1/- الميزانية والتمويل:

- تعتمد على تبرعات الأعضاء (لا تقبل أموالاً من إسرائيل أو من الحكومات الأجنبية).
- ميزانيتها السنوية تقارب 100 مليون دولار (حسب تقديرات 2022).
- لديها صندوق سياسي تابع (AIPAC PAC) يدعم المرشحين المؤيدين لإسرائيل.

2/- القوة البشرية:

- أكثر من 100,000 عضو في جميع الولايات الأمريكية.
- أكثر من 350 موظفاً محترفاً.
- مكاتب في واشنطن العاصمة ونيويورك وفروع في عدة مدن.
- لديها شبكة من 17,000 متطوع نشط.

3/- آليات العمل واستراتيجيات الضغط:

أ/- الاستراتيجية التشريعية (المباشرة):

- تتبع دقيق للتصويت: تحتفظ بسجل تصويت لكل عضو في الكونغرس حول القضايا المتعلقة بإسرائيل.
- صياغة التشريعات: تقدم صياغات قانونية جاهزة للكونغرس.
- الاجتماعات المباشرة: يلتقي ممثلو AIPAC مع كل عضو كونغرس تقريباً سنوياً (حسب مصادرهم).
- شهادات الكونغرس: تشهد بانتظام أمام لجان الكونغرس.

ب/- حشد القاعدة الشعبية (الضغط غير المباشر):

- المؤتمر السنوي في واشنطن: يحضره أكثر من 18,000 مشارك، بما فيهم أعضاء الكونغرس والوزراء.
- بعثات الأعضاء إلى إسرائيل: تنظم رحلات لمسؤولين أمريكيين لإسرائيل (أكثر من 100 رحلة سنوياً).
- اللجان المحلية: شبكة من المتطوعين في كل منطقة انتخابية.
- برنامج القيادة الطلابية: يستهدف أكثر من 15,000 طالب جامعي سنوياً.

ج/- بناء التحالفات:

- تتعاون مع المنظمات اليهودية الكبرى (ADL، AJC، المؤتمرات الرئاسية).
- تبني تحالفات مع المجموعات المسيحية الإنجيلية (المسيحيون الصهاينة).
- تتعاون مع مجموعات الأقليات (اليهود السود، اليهود اللاتينيون).
- التحالف مع المؤسسة العسكرية والأمنية الأمريكية.

الفرع الثالث: مناطق التأثير الرئيسية

1. المساعدات العسكرية والاقتصادية:

- ساهمت في تأمين 3.8 مليار دولار سنوياً لإسرائيل بموجب مذكرة التفاهم 2016-2028.
- دفعت لإقرار "قانون المساعدات الأمنية الخارجية" (Foreign Aid Security Act).

2. الدعم الدبلوماسي والسياسي:

- الضغط للاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل (تحقق 2018).

- معارضة الاتفاق النووي الإيراني (2015) ودعم الانسحاب منه (2018).
- دعم قوانين مكافحة BDS في "34 ولاية أمريكية".

3. نقل التكنولوجيا والدفاع:

- دعم برامج الدفاع المشترك (القبة الحديدية، السهم الحديدي).
- تعزيز التعاون في مجال الاستخبارات.

الفرع الرابع: التأثير على العملية السياسية الأمريكية:

1/- في الكونغرس:

- تحتفظ بدعم "حوالي 95%" من أعضاء الكونغرس (حسب تصويتاتهم المسجلة).
- تصنيفها كواحدة من "أقوى 5 لوبيات" في واشنطن باستمرار.
- قدرة على حشد "أكثر من 300 توقيع" على رسائل دعم لإسرائيل خلال 48 ساعة.

2/- في الانتخابات:

- من خلال "AIPAC PAC"، تدعم المرشحين المؤيدين لإسرائيل من الحزبين.
- في انتخابات 2020، ساهمت بأكثر من "4 ملايين دولار" للحملات الانتخابية.
- تنظم "حملات هاتفية" وزيارات ناخبين في المناطق التنافسية.

الفرع الخامس: النقاش الأكاديمي والنقد:

1/- الجدل حول "اللوبي الإسرائيلي": في كتابهم المثير للجدل "اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية" (2007)، يطرح "جون ميرشايمر" و"ستيفن والت" حججاً مركزية:

- أ. "تتشابك مصالح AIPAC مع اليمين الإسرائيلي وتضر بالمصالح الأمريكية".
- ب. "تمارس AIPAC رقابة على النقاش العام حول إسرائيل في الولايات المتحدة".
- ج. "تستثمر AIPAC في بناء إجماع سياسي يصعب على صناع السياسات مخالفته".

2/- ردود المدافعين:

- أ. مايكل أورين في الصفحة 412 من كتابه "القوة والإيمان والخيال" (2007) يجادل بأن "دعم أمريكا لإسرائيل يعكس تقارباً في القيم والمصالح، وليس فقط تأثير اللوبي".
- ب. د. ميتشل بارد في الصفحة 23 من كتابه "اللوبي الإسرائيلي" (2010) يؤكد أن "AIPAC تعكس الرأي العام الأمريكي الداعم لإسرائيل، ولا تخلقه".

الفرع السادس: دراسات حالة حديثة:

1/- اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة (AIPAC) ومعارضة الاتفاق النووي الإيراني (2015):

- أنفقت "20-40 مليون دولار" في حملة ضد الاتفاق.
- حشدت "332 عضو كونغرس" للتوقيع على رسالة ضد الاتفاق.
- رغم ذلك، فشلت في منع توقيع الاتفاق.

2. اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة (AIPAC) وقانون مكافحة (BDS 2019):

- نجحت في تمرير "قانون مكافحة BDS" في مجلس الشيوخ بـ "77 صوتاً مقابل 23".
 - واجهت انتقادات من منظمات الحريات المدنية (ACLU).
- عموماً، تجد AIPAC نفسها في مواجهة مع تحديات ورهانات جديدة، يمكن إجمالها في الآتي:

التحديات الداخلية:

- الانقسامات داخل الجالية اليهودية الأمريكية حول سياسات إسرائيل.
- صعود اليسار التقدمي الأمريكي الناقد لاحتلال إسرائيل.
- خلافات مع إدارة بايدن حول المستوطنات والسلام.

الاتجاهات المستقبلية:

- توسيع العمل على مستوى "الحكومات المحلية" (ولايات ومدن).
- زيادة التركيز على "الفضاء الإلكتروني" ومكافحة معاداة السامية عبر الإنترنت.
- تطوير "برامج قيادية شابة" لتأمين الاستدامة.

أسئلة للنقاش والمراجعة:

- هل تأثير AIPAC استثنائي مقارنة بلوبيات أخرى، أم أنه جزء من النظام التعددي الأمريكي الطبيعي؟
- كيف تمكنت AIPAC من الحفاظ على دعم الحزبين رغم الاستقطاب السياسي الأمريكي؟
- ما حدود تأثير AIPAC في ظل التغيرات الديمغرافية والسياسية الأمريكية؟
- كيف يمكن تفسير نجاح وفشل AIPAC في قضايا محددة (مثل الاتفاق النووي الإيراني)؟
- ما أخلاقيات الضغط لصالح دولة أجنبية في النظام السياسي الأمريكي؟

المراجع المعتمدة:

- Jean Ladrière, « Les Groupes de Pression », *Courrier Hebdomadaire du CRISP*, n°45, 1959. file:///C:/Users/G3/Downloads/CRIS_814_0001.pdf, consulté le 25/01/2026.
- David B. Truman, *The Governmental Process: Political Interests and Public Opinion*, Alfred A. Knopf, 1951.
- Jean Meynaud, *Les groupes de pression en France*, Armand Colin, 1958.
- Mancur Olson, *The Logic of Collective Action: Public Goods and the Theory of Groups*, Harvard University Press, 1965.
- Philippe C. Schmitter, « Still the Century of Corporatism? », *The Review of Politics*, Vol. 36, No. 1, 1974.

- Sabine Saurugger, *Les groupes d'intérêt dans l'Union européenne*, La Documentation française, 2014.
- Pierre Rosanvallon, *La légitimité démocratique*, Seuil, 2008.
- Bard. M. *The Israeli Lobby*. Alpha Books. 2010.
- John Mearsheimer, Stephen Walt. *The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy*. Farrar, Straus and Giroux. 2007.
- Thomas, C. S. (Ed.). *Research Guide to U.S. and International Interest Groups*. Praeger Publishers, 2007.
- Smith, T. *Foreign Attachments: The Power of Ethnic Groups in the Making of American Foreign Policy*. Harvard University Press, 2018.